التكتيك العسكري القرطاجي والروماني في معركتي ترازامانيا و كاناي

دراسة من خلال روايتي بوليبيوس وتيتوس ليفيوس

The Carthaginian and Roman military tactics In the battles of Lake Trasimene and Cannae Study through the stories of Polybius and Titus Levius

Les tactiques militaires carthaginoises et romaines dans les batailles de lac Trasimène et Cannes
Etude à travers les récits de Polybe et Tite-Live

بعيطيش عبد الحميد[1]

تاريخ الإرسال: 2020/03/22 **تاريخ القبول:** 2020/09/05 **تاريخ النشر:** 2020/12/30

ملخص:

لعبت معركتي ترازامانيا وكاناي دورا رئيسيا في الصراع العسكري الروماني القرطاجي، فالأولى جرت أحداثها حول بحيرة ترازامانيا شمال ايطاليا في جوان 217 ق.م، والثانية في أوت من عام 216 ق.م جرت أحداثها بالقرب من بلدة كاناي في جنوب شرق إيطاليا، وقد نقلت إلينا المصادر الكلاسيكية المختلفة عن هاتين المعركتين الكثير من الأحداث والحيثيات التي جرت وقائعها بين الجانبين القرطاجي والروماني.

إن الهدف من دراسة هذا الموضوع هو محاولة معرفة الأحداث والأحوال التي ميزت حملة حنبعل العسكرية على روما، ليس من بدايتها وإنما عن تلكما المعركتين الهامتين التي جرت وقائعهما بالقرب من روما لمعرفة الخصوصية الجغرافية للموقعين ترازامانيا وكاناي، والتعرف على الأساليب العسكرية لكلا الجانبين الروماني والقرطاجي ومدى نجاعتهما سواء المتعلق بالدفاع أو الهجوم، وفي تناولنا كذلك لفئات الفرسان والمشاة وتشكيلاتهم في المعارك وفي تعداد الجيوش المشاركة، وهذا من خلال ما نقلته أشهر المصادر التاريخية آنذاك وهما بوليبيوس ذو الأصول الاغريقية وتيتوس ليفيوس ذو الأصول اللاتينية.

الكلمات المفتاحية: ترازامانيا ؛ كاناي ؛ بوليبيوس ؛ تيتوس ليفيوس ؛ حنبعل ؛ روما

Abstract :

The battles of Lake Trasimene and Cannes are so important in the Romanian and Carthaginian military conflicts, the first one took place in Lake Trasimene in northern Italy in June 217 BC, and the second in August 216 BC near the town of Cannae, in the south-east of Italy.

The objective of this study is to discover the events and the conditions that characterized the military campaign of Hannibal against Rome, the two important battles that took place near Rome city. In addition, we aim to find out the geographic specificity of the sites of Lake Trasimene and Cannae. Third we will identify the military methods of both Romans and Carthages through which has been reported by historical sources the most famous of That time, Polypius, of Greek origin, and Latin Titus Levius.

Keywords: Lake Trasimene; Cannae ; Polypius; Titus Levius; Hannibal ; Rome.

[1]- بعيطيش عبد الحميد، جامعة باتنة1، مخبر: الجزائر دراسات في التاريخ الثقافة والمجتمع، الجزائر، massil6@yahoo.fr

Résumé :

La bataille du Lac Trasimène et de Cannes sont considérées parmi les plus grandes et importantes batailles dans le conflit Romano-Carthaginois. La première ses faits se sont déroulés sur la rive du lac Trasimène au nord de l'Italie en Juin 217 av-JC, et la deuxième en Août 216 av-JC, ses faits se sont déroulés près de la ville de Cannae, au sud-est de l'Italie.

Cette étude va nous permettre d'avoir une idée sur les spécificités géographiques des sites des deux batailles, aussi elle va démontrer les méthodes militaires appliquées par les forces armées Romaines et Carthaginoise et leur efficacités sur le champ de bataille, et connaitre la composition des deux armées on indiquons le nombre de soldat en cavalerie et en infanterie ,cela d'après ce qui a été rapporté par les sources historiques les plus célèbres de l'époque, à savoir Polybe d'origine Grecque et Titus Levius d'origine Latine.

Mots clés : Lac Trasimène; Cannes ; Polybe ; Tite-Leve ; Hannibal ; Rome

مقدمة

مع بداية الحرب البونيقية الثانية عبر الجيش القرطاجي بقيادة حنبعل جبال الألب خلال فصل الشتاء، وسرعان ما حققوا انتصارات في التقدم نحو روما، وكانت خسائر الرومان وخيمة وصادمة حسب روايات أغلب المصادر التي وصلتنا، وقد لعبت معركتي ترازامانيا وكاناي دورا رئيسيا في الصراع العسكري الروماني القرطاجي، فالأولى جرت أحداثها حول بحيرة ترازامانيا شمال ايطاليا في جوان 217 ق.م، والثانية في أوت من عام 216 ق.م جرت أحداثها بالقرب من بلدة كاناي في جنوب شرق إيطاليا.

إن الإشكالية الأساسية في هذه الورقة البحثية تتمثل في تسليط الضوء على الخصوصية الجغرافية للموقعين القريبين من روما، والتطرق إلى التكتيكات العسكرية لكلا الجانبين الروماني والقرطاجي ومدى نجاعتهما سواء المتعلقة بالدفاع أو الهجوم، وفي تناولنا كذلك لفئات الفرسان والمشاة وتشكيلاتهم في المعارك وفي تعداد الجيوش المشاركة، وهذا من خلال مصدرين تاريخيين مهمين هما بوليبيوس ذو الأصول الاغريقية وتيتوس ليفيوس ذو الأصول المحلية اللاتينية بغية الوصول إلى حقائق تاريخية من خلال التحليل والمقارنة.

1- لمحة عن المصدرين بوليبيوس وتيتوس ليفيوس

1-1 بوليبيوس Polybius (باليونانية Πολύβιος)

مؤرخ وسياسي ذو أصول إغريقية، ولد حوالي عام 205 ق.م بمدينة ميغالوبوليس بأركاديا (اليونان) وتوفي بها حوالي عام 120 ق.م، وهو يعدّ أكبر مؤرخي اليونان في عصره، كتب كتبه الثلاثة: رسالة في الفنون العسكرية، وحياة فيلوبيمين، وكتاب التواريخ (في اليونانية القديمة Ἱστορίαι / Historíai) الذي يعدّ مرجعًا نفيسًا لدراسة تاريخ الحروب البونيقية، وقد أبقى الدهر على خمسة من الكتب التي قسم إليها بوليبيوس تواريخه، وجمع المختصرون شذرات متفرقة من الكتب الباقية. (https://www.larousse.fr/encyclopedie/litterature/Polybe/176134, 2020)

نشأ بوليبيوس وتدرب على الجندية واشترك في حروب الرومان ضد الغاليين في آسيا الصغرى، كما اختير ليكون قائد فرسان العصبة الآخية هباركوس (Hipparchos) في عام 169 ق.م التي كان فيها والده من قبل ؛ عوقبت العصبة الآخية من طرف الرومان لتأييدها (برسوس) ضدهم فاقتيدوا رهائن إلى روما وكان من بينهم بوليبيوس ؛ ظل في المنفى ستة عشر عاما ولكن سيبيو الأصغر لمس فيه قدرته الأدبية وسعة اطلاعه فأقنع مجلس الشيوخ بأن يسمح لبولبيوس بالعيش معه في روما، ونال حريته عام 151 ق.م، واختير في عام 149 ق.م ليمثل روما في تنظيم الوفاق الذي تم بين المدن اليونانية وبين مجلس الشيوخ الروماني. (bcs.fltr.ucl.ac.be/ENCYC-1/Polybe.htm, 2020)

أتقن بوليبيوس اللاتينية إلى جانب لغته اليونانية الأصلية، وألف كتابه التواريخ باللغة اليونانية الذي لا زالت أجزاء منه باقية إلى اليوم، درس فيه جغرافية إيطاليا وخصوبة أراضيها وعن مراحل التاريخ المختلفة التي مرت بها إيطاليا من أقدم عصورها حتى زمانه، ثم تعرض لدستور إيطاليا وعبر عن إعجابه به، ووصفه بأنه أفضل دستور في العالم، وكان شديد الإعجاب بالرومان، لأنه شاهدهم في عصر مجدهم، وكان يشعر بحق أن روما هي مركز دائرة التاريخ السياسي في الفترة التي يريد أن يؤرخها.

2-1 تيتوس ليفيوس Titus Livius (بالفرنسية Tite-Live أو Livy بالانجليزية)

أحد أشهر المؤرخين الرومان، وُلِد حوالي 59 ق.م في بلدة بتافيوم Patavium (بادوا Padua الحديثة) بشمال إيطاليا، انتقل إلى روما حوالي عام 40 ق.م وعاش فيها في عهد الإمبراطور أغسطس، وكان صديقاً للإمبراطور، يعد أشهر من أرخ للعصر الجمهوري، حيث عايش سنواته الأخيرة وأحداثه الكبرى التي أدت إلى قيام النظام الإمبراطوري الروماني، مات في 17م.(https://www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Tite-Live/146909, 2020)

ألف في مطلع حياته عدداً من الحوارات بمضمون فلسفي تاريخي، ولكنها فقدت مثل رسالته إلى ابنه التي كتبها فيما بعد، وهي تحتوي إرشادات عن تكوين الخطيب وفن الخطابة، وتشيد بشيشرون (Cicero) وديموستين (Demosten) بوصفهما المثل الأعلى للخطابة الرومانية والإغريقية.

اشتهر ليفيوس بتاريخه الذي بدأ بكتابته وهو في سن الثلاثين تقريباً، بقي يعمل فيه حتى آخر أيام حياته على مدة خمس وأربعين سنة، وقد وصل إلى 142 كتاباً، سرد فيها تاريخ روما منذ نشأتها حتى موت دروسوس (Drusus) الأخ الأصغر للإمبراطور اللاحق تيبريوس (Tiberius)عام 9 ق.م، وهكذا عرف تاريخه باسم (Ab Urbe condita) أي «منذ تأسيس المدينة» (روما)، ولكن لم يبق من هذا الكتاب الضخم سوى 35 كتاباً، تضم الأجزاء العشرة الأولى أحداث التاريخ الروماني منذ البداية حتى عام 293 ق.م، والأجزاء 21- 45 وقائع الحرب البونيقية الثانية وحروب روما في الشرق، أما الأجزاء المفقودة التي تبلغ ثلاثة أرباع الكتاب، فيمكن معرفة محتواها من الفهارس والاقتباسات لدى الكتاب اللاحقين،

ويبدو أن ليفيوس أصدر تاريخه في مجموعات من خمسة أو عشرة كتب تؤلف وحدات تاريخية متكاملة، مثل الحرب البونيقية الأولى (الكتب 16-20)، والحرب البونيقية الثانية (الكتب 21-30) ولكنه لم يستطع الحفاظ على هذه الخطة. (https://www.livius.org/articles/person/livy/, 2019)

لقد اختار ليفيوس من مصادره السابقة ما يتفق وخطته، ولم يتناولها بالدراسة والنقد والموازنة فيما بينها لاستخلاص الحقائق التاريخية، وإنما كان يكتفي بالنقل عن سابقيه فيغترف من مصدر واحد أساسي ويكمله أو يسد النقص والثغرات باستخدام مصدر آخر، ثم يقوم بصياغة المادة التاريخية بأسلوبه ليصنع منه صورة زاهية لماضي الرومان وعظمائهم الذين تحلوا بالفضيلة والوطنية وأسسوا أمجاد روما.

2- الأوضاع العسكرية في ايطاليا قبيل معركة ترازامانيا

مع بداية الحرب البونيقية الثانية عبر الجيش القرطاجي بقيادة حنبعل جبال الألب خلال فصل الشتاء، وسرعان ما حققوا انتصارات في التقدم نحو روما، وكانت خسائر الرومان وخيمة وصادمة، وبفضل هذه الترتيبات قرر حنبعل في ربيع 218 ق.م الزحف نحو نهر الأبرو (Ebro) مع جيشه البالغ 90 آلف من المشاة، و12 ألف فارس، و37 فيل بهدف السيطرة على شمال الأبرو (Ebro)، ثم التوجه نحو ايطاليا عبر نهر البو، (Tite-Live, 2001, pp. XXII,23) هذه الأرقام قدمها كل من بوليبيوس وتيتوس ليفيوس، غير أننا نجد بعضا من الباحثين أمثال لانسل س. (Lancel S) يقدم معطيات عددية حول عدد الجيوش بين 60 ألف و70 ألف من المشاة و37 فيل و11 ألف فارس بناء على ما نقله بوليبيوس في مواضع وإشارات أخرى. (Polybe, 1970, pp. III,2,35) (Lancel, Hanniba, 1995, p. 104)

وصل جيش حنبعل إلى نهر الرون (Rhon) في شهر أوت وفقا لبوليبيوس، وكان يسير بمعدل 15 كلم يوميا، بقياس المسافة التي ذكرها بوليبيوس والتي قطعها جيش حنبعل من البحر إلى النهر والمقدرة بـ: أربعة أيام سيرا على الأقدام، (Polybe, 1970, pp. III,2,42)كما كان يحتاج إلى مؤونة وغذاء لـ: 38 ألف رجل، 8000 من الخيل، 3800 من البغال، و37 فيل. (Polybe, 1970, pp. III,60,5)

في أواخر شهر ديسمبر 218 ق.م، وبعد انتصار حنبعل في معركة تيسينيوس (Ticinus)الواقعة على ضفاف نهر تيسينو بالقرب من مدينة فيدجيفانو (Vigevano)، – وكانت هذه المعركة أول معركة في الحرب ضد الرومان في إيطاليا– زحف نحو كلاستيديوم (Classidium) التي سيطر عليها وقام بتقسيم القمح الذي غنمه على جنوده ,Polybe, 1970) (pp. III,2,69، كما قام حنبعل بنهب وقتل الشعوب الغالية التي بقيت حليفة لروما، وكان هدفه وراء ذلك هو جذب الرومان للمعركة التي يريدها حنبعل، وهذا ما حدث بالفعل، حيث اخرج الرومان جيشان الجيش الأول بقيادة تيبيريوس سمبرونيوس لونغوس(Tiberius Sempronius Longus) الذي يتولى مهمة الحملة على إفريقيا، لذلك اتجه إلى مسينا (Messine) ثم إلى ليليبي (Lilybee).

أما الجيش الثاني بقيادة بوبليوس كورنيليوس سكيبيون (Poblius Cornelius Scipion)، والذي كلف بالحملة على اسبانيا والدفاع عن نهر الابيرو الذي يعتبر الحد الفاصل بين السيطرة الرومانية والقرطاجية، وهنا نلاحظ أن كلا القوتين وضعتا أهم الترتيبات والخطط الهادفة إلى تحطيم كل الهجومات أثناء حدوثها وبالتالي لم يكن أمام روما وقرطاجة سوى انتظار عودة الربيع ليبدآ الصراع من جديد.

قام سمبرونيوس Sempronius بعبور نهر تريبي (Trébie) رغم ارتفاع مياهه والهجوم على جيوش القرطاجيين، أين باغتت الجيوش الرومانية الجيوش القرطاجية الموجودة في الوسط واخترقوها، لكن على مستوى الأجنحة كان العكس، إذ تمكنت الفيلة والفرسان النوميديين من التغلب على الأجنحة الرومانية بسبب طريقة هجومهم، حيث يهاجمون ويتراجعون في نفس الوقت(Le Bohec, 1996, p. 175) ، لكن التفوق كان لصالح القرطاجيين لأن أرض المعركة اختارها القائد حنبعل بجلبهم الرومان اليها (Mommsen, 1865, p. 153) .

من جهة أخرى هاجم جيش قرطاجي آخر متكون من ألف رجل بقيادة ماقون (Magon) الأخ الأصغر لحنبعل على مؤخرة الجيش الروماني، واخترقها مكبدا خسائر كبيره فيها (Mommsen, 1865, p. 154) ، وهنا يذكر المصدران أن بعض الرومان استطاعوا الفرار من قبضة الجيش القرطاجي، أما بقية الجيش فإما فروا أو نكلوا على يد القرطاجيين أو تحت أقدام الفيلة، بينما لم تقع خسائر كبيرة في الجيش القرطاجي ما عدا في صفوف الغاليين، وهنا يقدم لنا الأديب الملحمي سيليوس (Silius) وصفا للهزيمة النكراء التي تلقاها الجيش الروماني مبررا ذلك بالمكر والخداع في الأسلوب العسكري القرطاجي، وبتورط الأفيال في ذلك، وهي الطريقة التي توردها المصادر الأخرى بوصف الفيل كرمز لجميع معارك حنبعل، كما أننا نجد سرد الأحداث عند سيليوس مختلفة تماما عن سياقها التاريخي، إنه يقدم وصفا قصيرا جدا للحلقة ولا يقوم بعرض التفاصيل مثل بوليبيوس وتيتوس ليفيوس.(Silius, 1927, pp. 458-468)

بعد هذا الانتصار أصبح حنبعل مهيمنا على الكثير من القبائل الغالية في شمال ايطاليا، وأدى ذلك إلى انضمام عدد كبير منهم إلى جانب القائد القرطاجي مما زاد من عدد جنوده إلى نحو 50 ألف جندي، وأمضى جنبعل فصل الشتاء عامي 218 و217 ق.م في تدريب الغاليين الذين انضموا إليه، وأخذ يجمع المؤن والغنائم استعدادا لربيع 217 ق.م من أجل التوغل في أراضي ايطاليا الوسطى،(Combert Fernoux, 1960, p. 83) كما قام بتسريح بعض الأسرى لتأكيد عمله الدعائي لاستمالة بعض القبائل، لكن قساوة الشتاء كانت شديدة على جنوده وعلى الفيلة التي ماتت كلها ما عدا واحد. (دوكري، 1994، صفحة 160)

لم يكن حنبعل قائدا عسكريا فحسب بل كان رجلا سياسيا محنكا، ويظهر ذلك من خلال بحثه عن الحلفاء بين الشعوب التي هزمتها روما وجميع الشعوب التي تهددهم كالغاليين الذين يسكنون سهل البو(Po) وسكان ما وراء جبال

الألب وسراقوسة التي تعتبر ممولا رئيسا لروما وسردينيا التي يسئ حكامها الجدد معاملة ساكنيها، وهي سياسة قائمة على فتح طريق جديدة في بيئة معادية مستغلا لكل الظروف والأوضاع التي تمر بها المنطقة، ولم يكن يتصرف كغازي على هذه الشعوب وإنما محررا لها من السيطرة الرومانية استنادا على أقوال ذكرها حنبعل..(Tite-Live, 2001, pp. XXI, 21)

من جهة أخرى أصبحت الأوضاع السياسية في روما مضطربة، ولما وصل وقت انتخاب القناصل في روما تم تعيين كايوس فلامنيوس (Caius Flaminius) وسرفليوس جمينوس (Servilius Geminus) قنصلين جديدين، وكلفا بمهمة الذهاب إلى ارمنيوم (Arminium) (ارمنيوم: هي ريميني حاليا Rimini ، أنظر: بسام العسلي 1980 ص 71) واتروريا (Etrurie) لتأمين الطريقين المؤديين إلى روما، كما أرسلوا وفدا إلى الملك هيرون (Heiron) (الملك هيرون: ملك سراكوزة تميز بتغير مواقفه حيث ساعد القرطاجيين في حروبهم ضد المرتزقة كما ارسل مساعدات لروما اثناء بداية رالحرب البونية الثانية) لطلب المساعدة.

3- معركة ترازامانيا (Trasimène) جوان 217 ق.م

قبيل هذه المعركة يتطرق الباحث لانسل (Lancel) نقلا عن تيتوس ليفيوس أنه في ربيع 217 ق.م قام حنبعل بإحراق الأرياف ونهبها وهو يستأنف طريقه نحو الجنوب وأمام هذه الأوضاع قرر فلامنيوس (Flaminius) الذي نفذ صبره ملاحقة حنبعل، هذا الأخير الذي اكتشف ارض مناسبة لمخططه، إذ عرف كيف يجذب القائد الروماني إلى أرض المعركة، وذلك بإدخال جيوشه في ممر ضيق يحاذي بحيرة ترازامانيا مرورا بالمستنقعات وعسكر هناك، ووضع عدد كبير من جيوشه على المرتفعات الموجودة حول البحيرة(Lancel, Carthage , 1992, p. 406) .

وعن الأسلوب العسكري القرطاجي في مواجهة صعوبة التنقل في الأرض الضحلة ينقل الأب سبالتنشتاين (Spaltenstein Fr) الذي ينقل عن تيتوس ليفيوس أن القرطاجيين عمدوا على صناعة طوافات من الحزم الخشبية التي تم تجميعها وربطها ووضعها على الأرض الضحلة التي تسير عليها الفيلة حتى تصل الأرض الجافة (Spaltenstein, 1986, p. 458) .

إن الصورة التي وصف بها سيليوس الفيلة القرطاجية بالمرعبة والمروعة، صورة تعبر عن التوحش والدمار، صورة سلبية بشكل خاص للقارئ، ويقول أن هذه الفيلة قد تحملت كثيرا عناء ومشقة التنقل فعلى بعد 300 ياردة لا تزال الفيلة البونيقية تواجه الصعاب، وهي مدعومة بأبراج ضخمة فوق ظهورها السوداء، هذه الأبراج التي يتحصن فيها رماة السهام والرماح لم تلبث وأن فشلت في مهمتها، حيث استعمل الجيش الروماني في مواجهة الفيلة النيران، وهي طريقة كانت ناجحة، فلم تصمد الفيلة وانهارت تلك الأبراج المحمولة على ظهورها، وأصبحت مهام الفيلة غير فعالة.-458 .(Silius, 1927, pp

(460 tome III بينما يصف كلا من بوليبيوس وتيتوس ليفيوس أن الفيلة كانت هادئة عموما وتم التحكم فيها مع المهارات الدقيقة للجيش القرطاجي.

كانت نتائج معركة ترازامانيا وخيمة على الجيش الروماني حسب المصادر المختلفة، حيث قتل 15 ألف من جنود القنصل فلامنيوس، ومنهم من سقط في بحيرة ترازمانيا غرقا، وهو نفسه كان مصير القنصل فلامنيوس، أين غرق في البحيرة، ولم يستطع النجاة سوى 6 ألاف بعدما تمكنوا من اختراق صفوف جيش حنبعل، وهذا الأخير الذي فقد بدوره 2500 جندي. (طراد، 1997، صفحة 138)

بعد هذا الانتصار ينقل لنا لانسل نقلا عن تيتوس ليفيوس أن حنبعل تابع منهجه العسكري حيث قام بفرز الأسرى غير الرومان وإطلاق سراحهم لاستمالة قبائلهم ومدنهم ومرددا ما قاله منذ أول معركة بأنه لم يأت محاربا بل محررا للمدن الخاضعة للسيطرة الرومانية، وفي نفس الوقت وصل جيش يضم حوالي 4000 جندي بقيادة كايوس سنتونيوس (Caius Santunius) أرسلهم سرفليوس لمساعدة فلامنيوس، هذه الجيوش التي اصطدمت في منطقة أمبري (Ombrie) مع الجيوش القرطاجية التي كانت تحت قيادة ماهربعل والذي هزمها بدورها. (Lancel, Carthage , 1992, p. 406)

لقد ازدادت أوضاع روما سوءا، ففي غياب القنصلين حيث قتل الأول ومحاصرة الثاني بالجيوش القرطاجية الذي أصبح غير قادر على الاتصال والرجوع إلى روما، لهذا قام مجلس السناتو بتعيين كوينتوس فابيوس ماكسيموس (Quintus Fabius Maximus) دكتاتورا. (Tite-Live, 2001, pp. XXII,8)

أدت هذه الانتصارات إلى حدوث أزمة داخل روما، حيث ضن الرومان أن حنبعل سيهاجم المدينة، لكن هذا الأخير له رؤية أخرى، إذ يرى انه لا يملك الجيوش اللازمة لمهاجمة مدينة روما بسبب معاناة وتعب خيالته، لذلك عبر امبري (Iombrie) وأخذ يتجه الى بيكنوم (Picenum) حيث ينهب ويقتل حلفاء روما، ولم يتوقف حتى وصل إلى الادرياتيك (Adriatique) أين أقام هناك معسكرا لإراحة جنوده وخيوله (Brizzi, 2007, p. 149) .

أمام تفوق الفرسان القرطاجيين وصعوبة الوقوف أمام قاهر سكيبيو وفلامينيوس وسمبرونيوس، انتهج فابيوس سياسة مغايرة تجاه حنبعل، إذ رفض خوض المعركة وأخذ يتبع حنبعل دون الالتحاق به، ويقطع عليه وصول المؤن من المناطق الأخرى، فأخذ يقضي على فرقه من غير أن يعرض فابيوس نفسه للمخاطر الكبيرة، هذا الأسلوب عارضه فيها قائد الفرسان ماركوس مينوسيوس روفوس (Marcus Minucius Rufus) لأنها فعلا جلبت هزائم وخسائر فادحة للجيش الروماني؛كان هذا الرجل هادئا ومتأنيا وقد لقب بالمتأني (Cunetator)، حيث قام بإصلاح حصون المدينة وهدم الجسور،

كما أمر سكان المناطق التي يظن أن حنبعل سيمر بها بإحراق منازلهم وإتلاف محاصيلهم الزراعية وأراضيهم ويقيموا في الأماكن المحصنة. (Mommsen, 1865, p. 146)

أما حنبعل كان يواصل تخريب المناطق التي يمر بها ويقتل كل روماني يصادفه أمامه، حتى التقى مع فابيوس ماكسيموس في ابوليا (Apulie)، فزحف حنبعل ليقاتله لكن فابيوس بقي صامدا دون أن يتحرك من معسكره ولم يكن يبالي بالهجمات، كان الدكتاتور يرى أن متابعة حنبعل وقطع الطريق أمام المؤن التي ترسل إليه هي أحسن وسيلة لإهلاك القائد القرطاجي الموجود في أرض غريبة لا يعرف عنها شيئا، وكذا صعوبة تعويض خسائره في الجيش نظرا لبعد المسافة عن قرطاجة واسبانيا، فأخذ فابيوس يتبع حنبعل خطوة بخطوة ويأخذ الأماكن الإستراتيجية ويقضي على بعض جنوده (Mommsen, 1865, p. 146)، لذا قرر القرطاجيون الزحف على ابوليا (Apulie) وسمنيوم (Samnium) ثم كامبانيا (Companie) وبعدها كابو (Capoue)(Combert Fernoux, 1960, p. 85).

كان حنبعل يهدف من وراء هذه الأعمال إلى إرغام فابيوس على خوض المعركة الحاسمة وعزل روما عن حلفائها، حيث تبدو غير قادرة على الدفاع عنهم، لكن الدكتاتور بقي متصلبا فيما قرره ولا يلقي سمعا للفلاحين في القرى المجاورة الذين أصابهم الإفلاس بعدما نهب حنبعل محاصيلهم الزراعية، مما جعل فابيوس عرضة للانتقادات. (Mommsen, 1865, p. 164)

يذكر بوليبيوس أنه لما قرب فصل الشتاء أراد حنبعل الخروج من كامبانيا (Companie) عبر مضيق لا يبعد عن معسكر الرومان، فأرسل فابيوس 4000 رجل لاحتلال المضيق وفرقة أخرى من الجنود إلى ضفة نهر فولترنوس، بينما أقام هو مع بقية الجنود على المرتفعات، فأصبح حنبعل محاصرا من كل الجهات، لكن هذا الأخير استطاع استغلال بعض المرتفعات التي فتحت له الطريق، وأطلق الثيران التي تحمل على قرونها حطبا يابسا مشتعلا بالنيران، ما جعل الرومان يعتقدون أن القرطاجيين هم الذين اخترقوا الجبل من تلك الناحية، فتركوا مراكز الحراسة وتوجهوا لقتال القرطاجيين في المضيق، لكن لما وصلوا وجدوا الثيران هائجة ورؤوسها مشتعلة. (Polybe, 1970, pp. III,3,94)

في تلك الظروف خرج حنبعل من كامبانيا دون مواجهة أو مقاومة من طرف الرومان، ومع الصباح قام بتسريح بعض قواته الخفيفة منها وواصل مسيرته الطويلة، حيث اجتاز ونهب دون أي مقاومة كل من بلاد الهربين (Hairpins) سامنيت (Samnites)، كامبانيا (Campanies)، بوليجيان (Poeligniens)، فرانتان (Frentans)، ورجع نحو لوكري (Lucérie) محملا بالغنائم. (Mommsen, 1865, p. 165)

أمام التقدم الذي أحرزه حنبعل قرر الرومان تعيين ماركوس مانيسيوس (Marcus Minicius) لقيادة الفرق الرومانية بعد غياب الدكتاتور فابيوس، كانت أول خطوة يقوم بها مانسيوس هو التقدم نحو القرطاجيين والاستقرار في لارنيوم (Larinium). (Mommsen, 1865, p. 166)

لما رأى حنبعل ذلك أرسل قسمين من جيشه نحو الجيوش الرومانية على بعد 16 ستاد، (وحدة قياس المسافة عند الاغريق تعادل حسب مقاسات اليوم 600 قدم (حوالي 180 مترا))، وكان هدفه إثارة العدو وكذا حماية الجيوش المكلفة بجمع الغنائم، مع غروب الشمس هاجمت جيوش مانسيوس القرطاجيين وقتل عدد كبير منهم، وأمام هذا النجاح أعطي له حرية الاختيار بين قيادة الجيش بالتناوب أو تقسيمه إلى قسمين، فاختار مانسيوس تقسيم الجيش، (Polybe, 1970, pp. III,3,101-103) لكن سرعان ما جذب حنبعل مانسيوس إلى كمين كاد يؤدي إلى قتل كل جيشه لولا تدخل فابيوس، وأمام هذه الأوضاع قرر حنبعل خوض المعسكر الشتوي لسنة 217-216 ق.م في ابوليا (Apulie). (Lancel, Carthage , 1992, p. 407)

4- معركة كاناي (Cannae) اوت 216 ق.م

مثل عام 217 ق.م كابوسا ضاغطا على أعصاب الرومان بعد هزيمة ترازمانيا وإخفاق الدكتاتور فابيوس في تلبية أمال روما المتمثلة في الثأر من القائد القرطاجي حنبعل، لذلك عندما جاء وقت انتخاب القناصل، حيث عين لوكيوس ايمليوس باولوس (Paulus Lucius Aemilius) وكايوس تارنتيوس فارون (Caius Tarentius Varron) قنصلين جديدين لسنة 216 ق.م (Yanoski, 1844, p. 83) .

وكان امليوس باولوس من الطبقة الارستقراطية والأشراف، أما تارنتوس فارون فكان من العامة، لذلك ينظر إليه الأشراف والارستقراطيون على أنه معارض للسيناتو.

يذكر بوليبيوس أنه بعدما تحصل القنصلان على قرار السناتو، قام امليوس باولوس بإرسال مجندين جدد إلى البروقنصل سرفليوس جمينوس (Servilius Geminus) الذي عين بقيادة الجيش في كمبانيا، وأسندت له الأوامر بعدم إدخال الجيش الروماني في معركة أو مهمة عامة، وإنما يجب تدريب الجيش على مقاتلة العدو في معركة كبيرة، أما البروقنصل الثاني بوستيموس ألبينوس (Postumius Albinus)، أرسل إلى بلاد الغال مع جيش ليقوم بمحاربة القبائل الغالية التي قدمت المساعدة لحنبعل. (Polybe, 1970, pp. III,4,106)

لما وصل فصل الربيع ترك حنبعل معسكره في أبوليا وقام بالزحف من جرنيوم (Géronium) نحو الجنوب مرورا بلوكري، كما عبر نهر الافيدوس (Aufidus) واستولى على موقع كاناي (Cannae) الذي يحتوي على أهم مخازن القمح .(Mommsen, 1865, p. 169)

في روما قرر مجلس السيناتو خوض المعركة مع حنبعل وكل الأنظار موجهة نحو القائد امليوس باولوس، الذي كان يتميز بالشجاعة، القدرة والكفاءة، وهذا أثناء حرب روما ضد الإليريين. (Polybe, 1970, pp. III,4,107)

بعدما أعد للأمر عدته ذهب الرومان إلى مدينة كاناي (Cannae) في سهل أبوليا بجيش يقدر بحوالي 80 ألف من المشاة و 10 آلاف من الفرسان، ويعتبر التفوق في الفرسان ذو أهمية بالغة كونهم القوة الضاربة في الجيش الروماني (العسلي، 1980، صفحة 77).

قام القنصل امليوس باولوس بمخاطبة الجيوش الرومانية من أجل تشجيعها كون القنصلين لم يقودا المعركة معا، كما أن المجندون الجدد في الجيش الروماني لم يحاربو من قبل ويجهلون نوع العدو الذي سيواجهنه. (Polybe, 1970, pp. III,4,108)

هذه بعض الكلمات من خطاب امليوس :" إن الجيش الروماني الذي حارب في معركة تربي (Trébie) جاء من صقلية وكان مرهقا لذلك لم يستطع أن يحارب، أما في معركة ترازمانيا فلقد حل بين الرومان والقرطاجيين ضباب كثيف ولم يلاحظ الرومان العدو، أما الآن فقد تغيرت تلك الأحوال وأصبحنا عالمين بقوة وخداع عدونا حنبعل، وإننا أكثر منهم عددا، قنصليكم أمامكم وسيتقاسمون المخاطر معكم، نحن نخاطب الناس الذين يريدون أن يحاربوا من أجل وطنهم نساءهم وأطفالهم، فلنذهب للمعركة ولابد من معرفة أنه ليس مصير بعض الجنود هو الذي سيخسره إن هزمنا في المعركة بل مصير كل روما". (Polybe, 1970, pp. III,4,109)

جرت المعركة على نهر الافيدوس (Aufidus) حيث كانت الأرض صالحة لفرسان حنبعل في أوت 216 ق.م، وبدأت هذه المعركة باستفزازات حنبعل الذي يرسل بعض الفرسان النوميديين لمهاجمة بعض الجنود الرومان الذين كانوا يبحثون عن الماء ويتبعونهم حتى معسكرهم، مما يجعل مهمتهم مستحيلة. (Polybe, 1970, pp. III,4, 112)

في اليوم التالي تولى فارون قيادة الجيش الروماني ورتبه للمعركة بعدما انتقل إلى الضفة الأخرى من النهر في نفس الوقت الذي قام حنبعل باجتياز النهر ووضع رماة السهام في الصفوف الأمامية، ثم أخرج بقية الجنود التي عبرت نهر الاوفيدوس واصطفت أمام الرومان. (Polybe, 1970, pp. III,4,113)

نظم حنبعل جيشه كالعادة حيث جعل الفرسان الاييريين والكلتيين بالجناح الأيسر والنوميديين بالجناح الأيمن، أما في الوسط فرتب المشاة الغاليين والاسبانيين ونظمهم على شكل خط يشبه الهلال، وبين طرفي هذا الهلال والجناحين جعل المشاة الأفارقة مقسمين إلى قسمين متساويين.

كان مخطط حنبعل هو دفع الرومان إلى الهجوم على القسم الوسط حيث توجد العناصر الأقل مقاومة، هذه العناصر التي تتخلى عن مواقعها وتتراجع إلى الوراء أمام ضغط الجيوش الرومانية وتتمكن من امتصاص الرومان الذين سيظنون أنهم يحرزون النصر.

كانت تقسيمات الجيوش المحاربة والقيادة كما يلي:

- هسدربعل قيادة الجناح الأيسر وحنون الجناح الأيمن، أما الوسط فكان تحت قيادة حنبعل وأخيه ماقون كمستشار.
- أما الجيش الروماني فتولى امليوس قيادة الجناح الأيمن وفارون الجناح الأيسر أما سرفليوس (Sérvilius) واتليوس (Atilus) –قنصلا العام الماضي– فتولى قيادة الوسط. (Polybe, 1970, pp. III,4,114)
- مع بداية المعركة قام الجناح الأيسر من الجيش القرطاجي بمهاجمة الجناح الأيمن المقابل له، كما قاموا في نفس الوقت بتطويق خلفية الجيش الروماني الذي بدأ يتقدم في الوسط بعد تراجع المشاة الابيريين والكلتيين.
- أما امليوس الذي كان تحت قيادة هذا الجناح (الأيسر) استطاع اختراق صفوف الجيش الروماني ويلتحق بالوسط حتى يشارك في المعركة كما أمرهم من قبل، لكن النوميديين في الجناح الأيمن هاجموا الفرسان الرومان الذين يقابلونهم (Polybe, 1970, pp. III,4,116) ورغم صمود هؤلاء إلا أن التحاق فرسان هسدربعل بالنوميديين مكنهم من إبادة فرسان امليوس.(Ait Amara, 2009, p. 60)
- ترك هسدربعل النوميديين لمتابعة الفرسان الفارين أما هو فرتب جيشه للمرة الثالثة وهاجم مؤخرة المشاة الرومانية التي ارتمت كلها على الابيريين والكلتيين الذين وضعهم حنبعل في الوسط، ولقد تمكنوا من جذب الجيوش الرومانية إلى الوسط في الوقت الذي التف حولهم الأفارقة وهاجمهم هسدربعهل من الخلف ما جعل حتى محاولة هروب المشاة الرومانية مستحيلة.(Mommsen, 1865, p. 173)

أمام هذا الارتباك انهزمت جحافل الجيوش الرومانية الثمانية ومات القائد بول امليوس (Aemilius Paullus) (يذكر سيليوس في روايته ان الالهة قد حاولت اقناع ايمليوس بمغادرة ساحة المعركة لانها تخشى على سلامته لكنه اصر على مواجهة القرطاجيين حتى مات ، كما ان الالهة جونو junon ساهمت على هزيمة الرومان وحماية القائد القرطاجي sil, 9, 501-510 ; 10, 45-58)) بسبب الإصابات التي تعرض لها خلال المعركة، كما قتل اتليوس وسرفليوس، أما القنصل فارون (Varron) فقد تمكن من الفرار مع 70 فارسا بالإضافة إلى حوالي 300 فارس من الحلفاء الذين فروا عبر مجموعات صغيرة إلى بعض الأماكن المجاورة.(Polybe, 1970, pp. III,4,116)

أما الجيش القرطاجي فقد خسر 5700 رجل معظمهم من الغاليين، وفي اليوم الذي تلى معركة كاناي (Cannae) أمر ماهربعل (Maharbal) القائد حنبعل مواصلة السير والزحف على روما، غير أن هذا الأخير رفض ذلك فقال له ماهربعل:" حقا إن الآلهة لم تمنح كل شيء للشخص نفسه. فبالرغم من أن حنبعل يعلم كيف يقهر أعدائه، إلا أن لا يعرف

كيف يستفيد من هذا النصر " (Tite-Live, 2001, pp. XXII,51)، إن رفض حنبعل التقدم نحو روما ربما يعود إلى كونه يعرف أن مدينة روما محصنة بأسوار طويلة (تبلغ 11 كلم)، كما أن عملية حصارها تتطلب مدة زمنية طويلة، ومثل هذا العمل لا يتناسب مع أساليبه الحربية التي كانت دائما نتائجها مؤكدة.

كان تعليق تيتوس ليفيوس عن ما بعد المعركة، كالآتي: لقد ساد الرعب روما، فلم يسبق لروما أن جرحت مثل هذا الجرح. فقد فُقد جيشين واثنين من القناصل، لم يعد هناك أي معسكر روماني، أي جنرال، أي جندي واحد موجود؛ تقريبا كل إيطاليا أصبحت تحت قدمي حنبعل، بالتأكيد، لا توجد دولة أخرى لن تستسلم بعد كارثة كهذه. (Tite-Live, 2001, pp. XXII,50)

يجهل الباحثون عن الأسباب الحقيقية التي كانت وراء عدم هجوم حنبعل على مدينة روما حيث يرى بعض المؤرخين أنه كان ينتظر هدنة من روما وتطلب الاستسلام، والبعض الأخر يرى أن الجيش القرطاجي ليس مدربا على مثل هذه العمليات (الحصار) (Ait Amara, 2009, pp. 60,61) .

على كل حال كانت نتائج معركة كاناي (Cannae) وخيمة كذلك على الجيش الروماني، إذ يرى بوليبيوس أن حجم الخسائر عند الرومان بلغت 70 ألف قتيل و10 آلاف جندي أسير لم يشاركو في المعركة، لأن امليوس تركهم في معسكره وأمرهم بمهاجمة معسكر حنبعل إذ أدخل هذا الأخير كل جيوشه في المعركة، لكن هذه القوات اصطدمت بالجيوش القرطاجية المكلفة بحراسة المعسكر، حتى وصول حنبعل الذي قتل منهم ألفين (2000) وأسر البقية .(Polybe, 1970, pp. III,4,117)

بينما يرى تيتوس ليفيوس أن الخسائر الرومانية بلغت 45 ألف وخمسمائة قتيل من المشاة و 2700 من الفرسان نصفها من الرومان والنصف الآخر من الحلفاء.

يذكر الروائي سيليوس (Silius) أن معركة كاناي (Cannae) من المعارك المحورية كما يشير إلى استخدام الفيلة في معسكر القرطاجيين، لكننا نجد أن بوليبيوس وتيتوس ليفيوس لا يذكران الفيلة وينقلان أن غالبيتها ماتت جراء البرد القارص بعد معركة تربي (Tite-Live, 2001, pp. XXII,28,5) (Trébie) (Polybe, 1970, pp. III,74,11) (Silius, 1927, pp. III,459) لكننا نجد أن تيتوس ليفيوس يشير في مقطع آخر أن القرطاجيين أرسلوا فيلة إضافية للدعم (Tite-Live, 2001, pp. XXIII,8,11)

رغم كل هذا الاختلاف إلا أن الرومان هم أكثر المتضررين، خاصة بعد مقتل القناصل امليوس بولوس وكوستورا واتليوس ولوكيوس فريوس بيباكلوس (Lucius Firius Bebaclius)، و29 من مسؤولي الفرق، وعدد كبير من القادة، منهم كنايوس سرفليوس (Cnaius Sérvilius) وماركوس مانسيوس (Marcus Manicius)، ونحو 80 من أعضاء السناتو، بالإضافة إلى عدد من الأسرى الذين بلغو 3000 من المشاة و 1500 من الفرسان(Tite-Live, 2001, pp. XXII, 49) .

أما الأوضاع في روما فبلغت حد الذعر والاضطراب وحالة من الفوضى، خصوصا بعد انفصال المدن المجاورة عن روما مثل مدينة كابو وبعض القبائل المجاورة، حيث ضمها حنبعل إلى صفه (Tite-Live, 2001, pp. XXII,22).

خاتمة

لقد تجلت عبقرية حنبعل في معركتي ترازمانيا وكان، حيث تغلب عل الصعوبات والعقبات والكمائن التي واجهته سواء كانت طبيعية أو بشرية، كما كبد الرومان خسائر فادحة وأثر في سيكولوجية المواطنين الرومان في روما، كما تولدت عن هاتين المعركتين أزمة اقتصادية حادة في روما والمدن الحليفة لها.

لقد اعتبرت الخطط العسكرية التي عمل بها حنبعل في مختلف معاركه مثالا لكل المدارس الحربية وربما أكبر معركة في التاريخ القديم، وكيف أن الرومان لم يستفيدو من تفوقهم العددي في أي هجوم على القرطاجيين في المعركتين، وعوضوا هذا الإخفاق بالدفاع فقط وهذا بمضاعفة خطوط مشاتهم بقصد زيادة ثقل الهجوم على جبهة حنبعل.

الشكل –1– خريطة سير معركتي ترازمانيا وكاناي

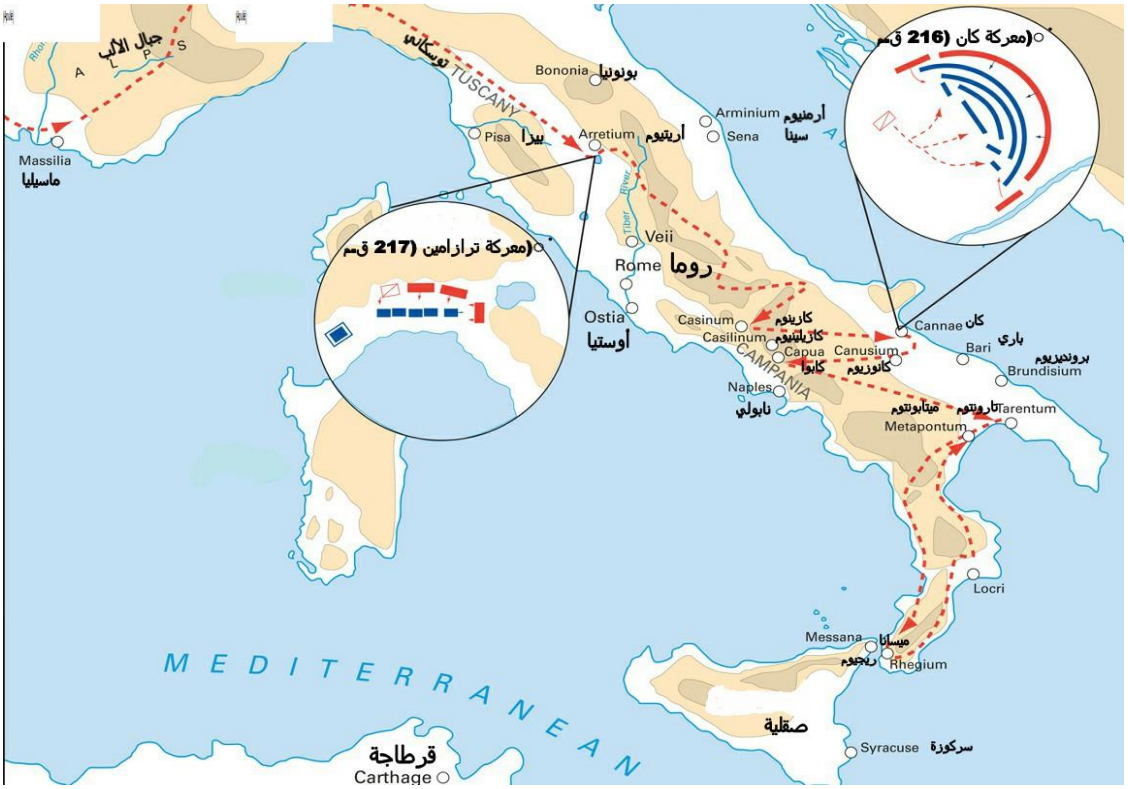

المصدر: http://www.emersonkent.com/map_archive/second_punic_war_map.htm

الشكل –2– خريطة سير معركة ترازمانيا

المصدر: http://www.emersonkent.com/map_archive/battle_of_trasimene.htm

الشكل –3– خريطة سير معركة كاناي

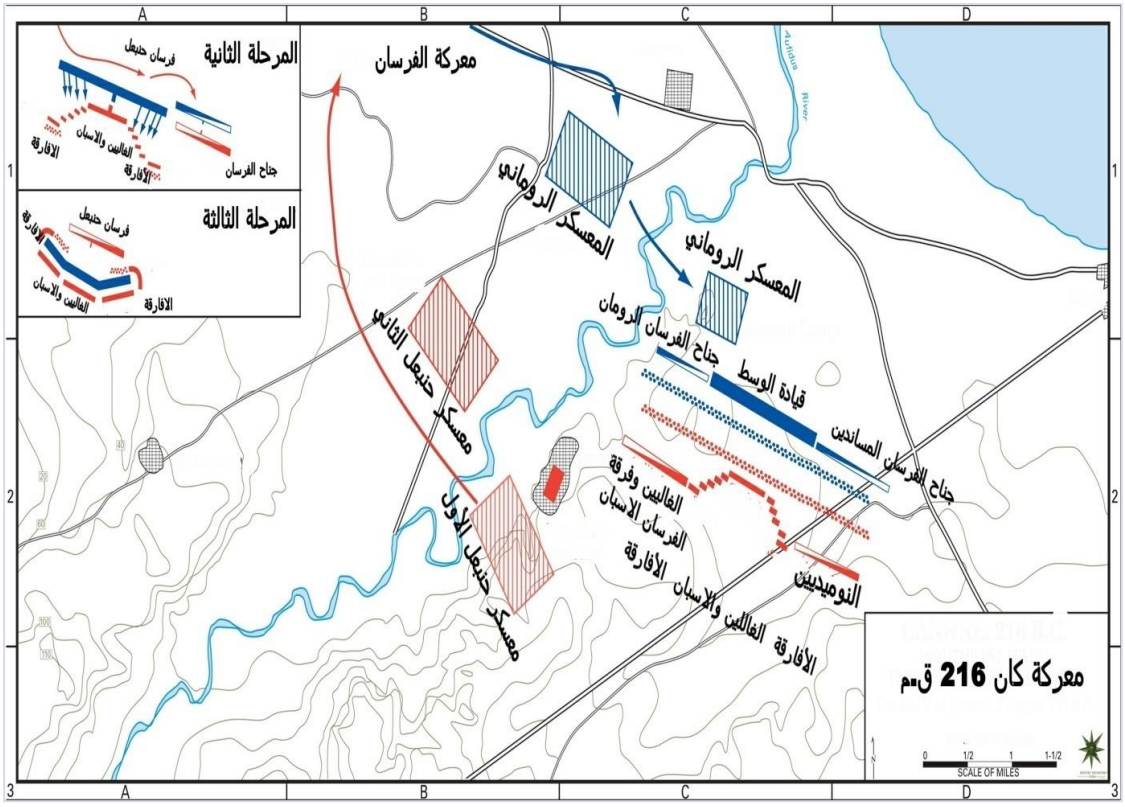

المصدر: http://www.forumancientcoins.com/Ancient-Maps/displayimage.php?album=lastup&cat=-15&pos=1

قائمة المصادر المراجع

أولا: المراجع باللغة العربية

طراد، نجيب ابراهيم. (1997). *تاريخ الرومان*. القاهرة، الجيزة.

بسام العسلي. (1980). *هانيبال القرطاجي*. بيروت، الشركة العاملية للكتاب

جوليان شارل أندري. (1969). *تاريخ افريقيا الشمالية، تونس- الجزائر- المغرب الاقصى، من البدء الى الفتح الاسلامي 647م* (ط 3). (المترجمون: م سلامة، و م بن مزالي) تونس.

دوكري فرانسوا. (1994). *قرطاجة الحضارة والتاريخ*. (المترجمون: يوسف شلب الشام،) دمشق. دار طلاس للدراسات وللترجمة وللنشر.

ثانيا: المراجع باللغة الاجنبية

Ait Amara, O. (2009). *Les Soldat d'Hannibal.* Publication : Clermont-Ferrand : LEM, les Éd. Maison, DL France.

Brizzi, G. (2007). *Moi Hannibal.* trad. de l'italien par Y. Le Bohec, en coll. avec F. Hinard, Nantes, Les Éditions Maison. France.

Combert F, B. (1960). *Les guerres puniques.* Paris .

https://bcs.fltr.ucl.ac.be/ENCYC-1/Polybe.htm. (2020, 03 11). (J.-M. HANNICJ, Producteur) Consulté le 03 11, 2020, sur bcs: bcs.fltr.ucl.ac.be/ENCYC-1/Polybe.htm

https://www.larousse.fr/encyclopedie/litterature/Polybe/176134. (2020, 03 11). Consulté le 03 11, 2020, sur larousse: https://www.larousse.fr/encyclopedie/litterature/Polybe/176134

https://www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Tite-Live/146909. (2020, 03 11). Consulté le 03 11, 2020, sur Larousse: https://www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Tite-Live/146909

https://www.livius.org/articles/person/livy/. (2019, 4 26). Consulté le 3 11, 2020, sur https://www.livius.org/articles/person/livy/

Lancel, S. (1992). Carthage . *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*.

Lancel, S. (1995). Hanniba. *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*.

Le Bohec, y. (1996). *Histoire Militaire Des Guerres Puniques,246-146 av j-c.* France.

Mommsen, T. (1865). *Histoire Romaine.* trad. C.A. Alexandre, T3, Paris.

Polybe. (1970). *Histoire.* trad. Denis Roussel (Bibliothèque de la Pléiade). Paris: Gallimard.

Silius, I. (1927). *Punica* (Vol. II). cambridge- UK: harvard university press.

Spaltenstein. (1986). *commentaires des punics de silius italicus* (Vol. livre 3). geneve.

Tite-Live. (2001). *Histoire romaine* (Vol. XXI). (D. clerq, Trad.) Paris.

Yanoski, J. (1844). *Esquisse Générale de l'Afrique et Afrique Ancienne: Carthage,Numidie, Mauritanie.* Paris.